فَـأَمْـسَـكَ صَـحْـبِـي بِـأَكْـوَارِهِـمْ
وَقَـدْ قَـصَـدَ الـضِّـحْـكُ فِـيـهِـمْ وَجَـارَا[١]

أرجانَ أيتها الجياد!

خرج أبو الطيب من الكوفة إلى العراق فراسله ابن العميد أبو الفضل محمد بن الحسين وزير ركن الدولة من أرجان فسار إليه وقال يمدحه:

[الكامل]

بَـادٍ هَـوَاكَ صَـبَـرْتَ أَمْ لَـمْ تَـصْـبِـرَا
وَبُـكَـاكَ إِنْ لَـمْ يَـجْـرِ دَمْـعُـكَ أَوْ جَـرَى[٢]
كَـمْ غـرَّ صَـبْـرُكَ وَٱبْـتِـسَـامُـكَ صَـاحِـبـاً
لَـمَّـا رآكَ وفـي الْـحَـشَـا مَـا لَا يُـرَى[٣]
أَمَـرَ الْـفُـؤَادُ لِـسَـانَـهُ وَجُـفُـونَـهُ
فَـكَـتَـمْـنَـهُ وَكَـفـى بِـجِـسْـمِـكَ مُـخْـبِـرَا[٤]

= مطر غزير؛ فعبيده لم يُصدّقوا أنهم عادوا إلى وطنهم، وهم في حيرة إذ رأوْا طلائع النجاة ممثلة بثور وقطيع من الأبقار تُوحي بالبيئة التي ينتمون إليها ونعاماً كأنهن نخيل؛ إنها عبارة تنم عن الفرحة والسخرية بآن معاً.

(١) الأكوار، الواحد كور: الرحل. جار: مال. ولقد أمسك غلمان الشاعر برحالهم، وهم يضحكون فرحين مسرورين، وبعضهم الآخر اقتصد بضحكه وهم منبهرون بما يُشاهدون.

(٢) بدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع وجداني غزلي، فعلامات العشق بادية عليه، والحبيب لا يكترث لما يُعانيه الشاعر من آلام الفراق والهجران؛ فالصبر وعدمه سيان لا يُفيد، فحتى البكاء لا يُفيد في حال انسكب أو لم ينسكب.

(٣) الحشا: ما اضطمت عليه الضلوع. المظاهر خادعة، فالصبر والبسمات تُخفي وراءها ما تُخفيه، والناظر يُفسّر ما يراه كما يحلو له لأنه لا يعلم ما في القلب من أحزان وآلام؛ فالحزن مغلّف بقناع كاذب خادع.

(٤) الفؤاد مركز القيادة ومكمن المشاعر، وها هو يقوم بدور القائد الآمر متخلياً ظاهرياً عن دوره الطبيعي، إنه ينساق مع رغبات الحبّ، فإذا به يأمر اللسان فيسكت، والجفون فتتوقّف عن التعبير بما يُعانيه القلب من الهيام والعشق، ولكن الجسد لم يُفلح بضبط النفس، فكان أن كشف عن حقيقة الأمر بنحوله وفتوره.

تَـعِـسَ الـمَـهَـارِي غَـيْـرَ مَـهْـرِيٍّ غَـدَا
بِـمُـصَـوَّرٍ لَـبِـسَ الْـحَـرِيـرَ مُـصَـوَّرَا[١]

نَـافَـسْـتُ فِـيـهِ صُـورَةً فِـي سِـتْـرِهِ
لَـوْ كُـنْـتُـهَـا لَـخَـفِـيـتُ حَـتَّـى يَـظْـهَـرَا[٢]

لَا تَـتْـرَبِ الأَيْـدِي الـمُـقِـيـمَـةُ فَـوْقَـهُ
كِـسْـرَى مُـقَـامَ الْـحَـاجِـبَـيْـنِ وَقَـيْـصَـرَا[٣]

يَـقِـيَـانِ فِـي أَحَـدِ الـهَـوَادِجِ مُـقْـلَـةً
رَحَـلَـتْ فَـكَـانَ لَـهَـا فُـؤَادِي مَـحْـجِـرَا[٤]

قَـدْ كُـنْـتُ أَحْـذَرُ بَـيْـنَـهُـمْ مِـنْ قَـبْـلِـهِ
لَـوْ كَـانَ يَـنْـفَـعُ خَـائِـفـاً أَنْ يَـحْـذَرَا[٥]

وَلَـوِ اسْـتَـطَـعْـتُ إِذِ ٱغْـتَـدَتْ رُوَّادُهُـمْ
لَـمَـنَـعْـتُ كُـلَّ سَـحَـابَـةٍ أَنْ تَـقْـطُـرَا[٦]

---

(١) تعس: ذلّ وهان أمره وهلك. المهاري، الواحد مهري وهي إبل تنسب إلى مهرة بن حيدان، اشتهر بحسن القيام والعناية بالإبل. المصوّر: الشكل. حرص الشاعر على حبيبته جعله يدعو على سائر الإبل ما عدا ركوبة حبيبته التي ارتدت من فاخر الحرير المزركش بجميل التصاوير.

(٢) نافست: فاخرت وباريت. يودّ الشاعر لو استطاع أن يستحيل إلى صورة في ستائر هودج حبيبته ليكون بقربها يرى ما يراه منها، وقد تخلّت عن حِجابها وبدت بطبيعتها وجمالها فضلاً عن احتشامها وحذرها، وتشجيعاً لها حتى تبدو كذلك يعمل على الاختباء، فيُخفي نفسه.

(٣) و (٤) تترب: تفتقر. يدعو الشاعر لمن قام برسم صورة كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم ألّا يفتقر، إذ جعلهما حارسين يقومان على حماية حبيبته ممن يسترق النظر إليها كالحاجبين يحميان نظرها ومهجتها في رحلتها، وهو يتمنّى لو كانت في عينيه وتحتمي مختبئة في هودجها.

(٥) يروى «حائناً» بدلاً من «خائفاً». والحائن: الهالك. البين: البعد. يُطلعنا الشاعر أنه قد تملّكه الخوف من رحيل الأحبّة، ولكن الحذر لا ينفع لأن المقدّر لا بدّ واقع، فالخوف لا يُجدي نفعاً.

(٦) الرواد، الواحد رائد: هو من يُرسله القوم للبحث عن مواقع الماء والكلأ. اغتدت: =

فـإذَا الـسَّـحَـابُ أَخُـو غُـرَابٍ فِـرَاقِـهِـمْ
جَـعَـلَ الـصِّـيَـاحَ بِـبَـيْـنِـهِـمْ أَنْ يُـمْـطِـرَا[١]
وَإذَا الْـحَـمَـائِـلُ مَـا يَـخِـدْنَ بِـنَـفْـنَـفٍ
إلَّا شَـقَـقْـنَ عَـلَـيْـهِ ثَـوْبـاً أَخْـضَـرَا[٢]
يَـحْـمِـلْـنَ مِـثْـلَ الـرَّوْضِ إلَّا أَنَّـهَـا
أَسْـبَـى مَـهَـاةً لِـلْـقُـلُـوبُ وَجُـؤذُرَا[٣]
فَـبِـلَـحْـظِـهَـا نَـكِـرَتْ قَـنَـاتِـي رَاحَـتِـي
ضَـعْـفـاً وَأَنْـكَـرَ خَـاتـمَـايَ الْـخِـنْـصِـرَا[٤]
أَعْـطَـى الـزَّمَـانُ فـمَـا قَـبِـلْـتُ عَـطَـاءَهُ
وَأَرَادَ لِـي فَـأَرَدْتُ أَنْ أَتَـخَـيَّـرَا[٥]

= ذهبت في الغداة. يتمنّى الشاعر لو أنه قد قدر على جعل السحب تمتنع عن أن تُمطر لجعل الرواد الذين أرسلهم القوم للبحث عن موارد الماء والكلأ لا يعثرون على بُغيتهم فيعودون خائبين؛ وهذا ما يبقي المرتحلين في أمكنتهم.

(١) الغراب: اشتقّت منه الغربة، والسحاب رمز الخير والرزق استحال إلى ما يُتشاءم به لأنه جاء بالمطر والرعود، فكانت بمثابة إيذاناً بالرحيل ومصدراً للتشاؤم مما جعل القوم يرتحلون ابتغاء الرزق، ومن بينهم محبوبة الشاعر.

(٢) الحمائل، الواحدة حمولة: الإبل يحمل عليها ويروى «جمائل» بدلاً من «حمائل» جمع جمالة، الواحد جمل. يخدن: يسرن بسرعة. النفنف: المفازة بين جبلين. يصف الشاعر خطّ سير المرتحلين إنهم عبروا أرضاً في مفازة وقد ارتدت بثوبها الأخضر الجميل وقد كثر الخصب وعمّ الخير في زمن ربيعي، فأثر مسير القوم قد ارتسمت معالمه في تلك الأنحاء.

(٣) أسبى: أكثر أسراً. المهاة: البقرة الوحشية ذات العينين الجميلتين. الجؤذر: ولد المهاة. يصف الشاعر الركب، فهوادج النسوة تزدان بالألوان المزركشة وتتناسق مع جمال الطبيعة بألوانها، وهي تحمل نسوة أجمل من البقر الوحشي تسبي القلوب وتسحر العيون، وإلى جانبهن حبيبة الشاعر.

(٤) لقد شاهد الشاعر تلك الهوادج وفي أحدها حبيبته ممَّا أثّر في جسده فانضوى وبات صاحبه هزيلاً، حتى إنه لم يستطع حمل رمحه لشدّة ضعفه وقد أصبح خاتمه أوسع من إصبعه الخنصر، فإذا به يقلق في مكانه لشدّة هزاله.

(٥) يتخلّص الشاعر من الغزل إلى المدح، فقد تقدّم الزمان علّه يستميل الممدوح بعطائه، =

أَرَجَـانَ أَيَّـتُـهَـا الْـجِـيَـادُ فـإِنَّـهُ
عَـزْمِـي الّـذِي يَـذَرُ الْـوَشِـيـجَ مُـكَـسَّـرَا[١]
لَـوْ كُـنْـتُ أَفْـعَـلُ مَـا اشْـتَـهَـيْـتِ فَـعَـالَـهُ
مَـا شَـقَّ كَـوْكَـبُـكِ الْـعَـجَـاجَ الأَكْـدَرَا[٢]
أُمِّـي أَبَـا الْـفَـضْـلِ الْـمُـبِـرَّ أَلِـيَّـتِـي
لأُيَـمِّـمَـنَّ أَجَـلَّ بَـحْـرٍ جَـوْهَـرَا[٣]
أفـتـى بِـرُؤْيَـتِـهِ الأَنَـامُ وَحَـاشَ لِـي
مِـنْ أَنْ أَكُـونَ مُـقَـصِّـراً أَوْ مُـقْـصِـرَا[٤]
صُـغْـتُ الـسِّـوَارَ لِأَيِّ كَـفٍّ بَـشَّـرَتْ
بِـابْـنِ الْـعَـمِـيـدِ وَأَيِّ عَـبْـدٍ كَـبَّـرَا[٥]
إِنْ لَـمْ تُـغِـثْـنِـي خَـيْـلُـهُ وَسِـلَاحُـهُ
فَـمَـتَـى أَقُـودُ إِلـى الأعـادِي عَـسْـكَـرَا[٦]

= فيتّخذه خليلاً وصاحباً ولكن الشاعر رفض ذلك بإباء مفضّلاً ممدوحه لما يأمل منه الخير العميم والتكريم العظيم فيحصل على بغيته بعدما بخل الزمن بتوليته ولاية.

(١) أرجان: من مدن فارس، بلد الممدوح. عزمي: مقصدي. يذر: يترك. الوشيج: ضرب من الشجر تتخذ منه الرماح. يطلب الشاعر من خيله أن تتوجّه إلى أرجان حيث يمكث الممدوح، ولن يصدّه أحد عن الوصول إلى مبتغاه، فعزمه لن يلين ولن يحول دون ذلك شيء مهما عظم.

(٢) و (٣) كوكب الخيل: معظمها مجتمعة. العجاج: الغبار. يُخاطب الشاعر خيوله أنه لم يُوافقها على أخذها قسطاً من الراحة لذا جعلها تخترق الغبار المتصاعد المظلم، رغم إرهاقها بتواصل المسير حتى تصل إلى أبي الفضل قاصدة دياره ليبرّ بيمينه ويمثل بين يديه؛ إنه أجلّ بحر يتمثل به الكرم اللامحدود. والألِيّة: القسم.

(٤) الأنام: الناس. حاش: تنزيهاً. أقصر: توقّف عن فعل شيء ما، ثَمَّة إجماع من قبل الناس على إباحة رؤية الممدوح، ولهذا يُنزّه الشاعر نفسه عن التقصير بما استفتى من زيارة ممدوحه.

(٥) لقد أعدّ الشاعر سِواراً ذهبيَّة لأي كفّ تبشّره بأنه قد حلّ في ديار ابن العميد حِلية لصاحبها، وأيضاً لأي عبد من عبيده كبّر إعجاباً بالممدوح في حال رؤيته للممدوح.

(٦) أغاث: ساعد، أمدّ. يطلب الشاعر من ممدوحه أن يُمدّه بالسلاح والرجال ليستعين =

بِـأَبِـي وَأُمِّـي نَـاطِـقٌ فِـي لَـفْـظِـهِ
ثَـمَـنٌ تُـبَـاعُ بِـهِ الْـقُـلُـوبُ وَتُـشْـتَـرَى (١)
مَـنْ لَا تُـرِيـهِ الْـحَـرْبُ خَـلْـقـاً مُـقْـبِـلاً
فِـيـهَـا وَلَا خَـلْـقٌ يَـرَاهُ مُـدْبِـرَا (٢)
خَـنْـثَـى الْـفُـحُـولَ مِـنَ ٱلْـكُـمَـاةِ بِـصَـبْـغِـهِ
مَـا يَـلْـبَـسُـونَ مِـنَ الْـحَـدِيـدِ مُـعَـصْـفَـرَا (٣)
يَـتَـكَـسَّـبُ الْـقَـصَـبُ الـضَّـعِـيـفُ بِـكَـفِّـهِ
شَـرَفـاً عَـلَـى صُـمِّ الـرِّمَـاحِ وَمَـفْـخَـرَا (٤)
وَيَـبِـيـنُ فِـي مَـا مَـسَّ مِـنْـهُ بَـنَـانُـهُ
تِـيـهُ الـمُـدِلِّ فَـلَـوْ مَـشَـى لَـتَـبَـخْـتَـرَا (٥)
يَـا مَـنْ إِذَا وَرَدَ ٱلْـبِـلَادَ كِـتَـابُـهُ
قَـبْـلَ الْـجُـيُـوشِ ثَـنَـى الْـجُـيُـوشَ تَـحَـيُّـرَا (٦)

= بهم على طلب الولاية ويُقاتل أعداءه الذين يحولون دون تحقيق أمانيه.

(١) يمدح الشاعر ممدوحه بحلو منطقه وروعة بلاغته، لذا فهو يفدّيه بأبويه؛ إنه يستحوذ على القلوب ويستميلها ويُمكنه التصرّف بها لبلاغته وحسن بيانه.

(٢) يمدح الشاعر ممدوحه بالشجاعة العظيمة، فما من كميّ يجرؤ على مواجهته في الميدان خوفاً منه ومهابة له، كما أنه لا يفرّ من معركة جبناً وحبًّا للحياة.

(٣) خنثى الفحول: تشبههم بالنسوة في رقّتهن. الكماة، الواحد كميّ: البطل المدجج بالسلاح. المعصفر: المصبوغ باللون الأصفر. ومن أثر شجاعة الممدوح أنه جعل الكماة من الأبطال يجبنون ويتحوّلون إلى مخنّثين حينما يُقابلهم الممدوح في ميادين القتال وقد صبغت دروعهم باللون الأصفر، لون الخسران والموت.

(٤) و (٥) يروى «بخطّه» بدلاً من «بكفّه». يمدح الشاعر ممدوحه بجمال الخطّ، فالقصب يتيه على الرماح السمراء في حال اتّخذ منها أقلاماً يخطّ بها أدبه وعلمه، إنه يكتب خطوطه بفن مبدع، ممّا يجعل اليراع كمن مسته يد ساحرة فأحيت به روحاً تيّاهة تتبختر باعتزاز وإعجاب بإمساك كفّ الممدوح له.

(٦) يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً ببلاغته؛ إنه يُوجّه كتابه لأعدائه متوعّداً متهدّداً؛ فإذا ما قرأوه راعتهم بلاغته فضلاً عن معرفتهم شجاعته ارتدعوا وآثروا مهادنته بسبب ما شاهدوا من جمال الخط وبلاغة مضمون الكتاب.

أَنْـتَ الْـوَحِـيـدُ إِذَا ٱرْتَـكَـبْـتَ طَـرِيـقَـةً
وَمَـنِ الـرَّدِيـفُ وَقَـدْ رَكِـبْـتَ غَـضَـنْـفَـرَا[١]
قَـطَـفَ الـرِّجَـالُ الْـقَـوْلَ وَقْـتَ نَـبَـاتِـهِ
وَقَـطَـفْـتَ أَنْـتَ الْـقَـوْلَ لَـمَّـا نَـوَّرَا[٢]
فَـهُـوَ الـمُـتَـبَّـعُ بـالـمَـسَـامِـعِ إِنْ مَـضَـى
وَهُـوَ الـمُـضَـاعَـفُ حُـسْـنُـهُ إِنْ كُـرِّرَا[٣]
وإِذَا سَـكَـتَّ فَـإِنَّ أَبْـلَـغَ خَـاطِـبٍ
قَـلَـمٌ لَـكَ ٱتَّـخَـذَ الأَنَـامِـلَ مِـنْـبَـرَا[٤]
وَرَسَـائِـلٌ قَـطَـعَ الْـعُـدَاةُ سِـحَـاءَهَـا
فَـرَأَوْا قَـنـاً وأَسِـنَّـةً وَسَـنَـوَّرَا[٥]
فَـدَعَـاكَ حُـسَّـدُكَ الـرَّئِـيـسَ وَأَمْـسَـكُـوا
وَدَعَـاكَ خَـالِـقُـكَ الـرَّئِـيـسَ الأَكْـبَـرَا[٦]

---

(١) الرديف: الراكب خلف سائق المطيّة. الغضنفر: من أسماء الأسد، يمدح الشاعر ممدوحه بأنه وحيد في بابه في كلّ ما يأتيه من الأعمال متفرّد في مآتيه الفكريّة والعلميّة والحربيّة بحيث لا يُمكن غيره أن يفعل فعاله فيُقصّر ويُفتضح أمره بين الخلق. والحقُّ أن الممدوح يركب الأصعب من الأمور ويفوز فيها محقّقاً أفضل النتائج كراكب الأسد؛ وذلك من الأمور المستحيلة على البشر.

(٢) و (٣) ومن مفاضلة الممدوح أن غيره ممن يُجيدون القول لتسرعهم يأتون بالأقوال قبل نضجها غير مكتملة فجّة ممّا يجعلها صعبة الفهم خلاف الممدوح فإنه يُعْمل فكره وعبقريته في فنون القول، فإذا بها ناضجة تُوحي بتفوّق قائلها في بلاغتها وحكمتها، لذا فإن المستمع لقوله يلذّ له تكرار ما يسمع لوقعه الحسن في الأذن والقلب معاً، بينما ما قاله غيره يسمج في الآذان في حال تكراره، فتكرهه وتملّه الأذواق السليمة.

(٤) يمدح الشاعر ممدوحه؛ بأنه في حال سكوته عن الكلام ناب عن لسانه قلمه الذي يسيل حكمة وعلماً وظرفاً وفنًّا وأدباً.

(٥) السحاء: ما يُشدّ الكتاب به من أدم. السنور: الدروع. يصف الشاعر قوّة أثر ما يكتبه في نفوس قارئيه؛ فالأعداء يُحسّون رعشة الخوف ما تثيره بلاغته في قوّة تهديده ووعيده فيرتدعون ويستسلمون لإرادته طائعين، وكأن القلم قام بفعل السيف.

(٦) لم يمنع حسّاد الممدوح من الإقرار له بتفوّقه عليهم فدعوه بالرئيس إذعاناً وتقديراً، =

خَلَفَتْ صِفَاتُكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
كَالْخَطِّ يَمْلأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصَرَا[١]

أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ
نَقَلَتْ يَداً سُرُحاً وَخُفًّا مُجْمَرَا[٢]

تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
طَلَباً لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا[٣]

وَتَكَرَّمَتْ رُكَبَاتُهَا عَنْ مَبْرَكٍ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكاً أَذْفَرَا[٤]

فَأَتَتْكَ دَامِيَةَ الأَظَلِّ كَأَنَّمَا
حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقَ الأَحْمَرَا[٥]

= وذلك من إيثار اللَّه تعالى له وحسن توفيقه أن جعله الرئيس الأكبر.

(١) وممّا يدلّ على تلك المأثرة أن تلك الصفات التي جعلها اللَّه عزّ وجلّ في الممدوح تبدو واضحة للعيان وإن لم تنطق بذلك الحكمة الإلهيّة، وذلك كالخطّ المرئيّ الذي حلّ محلّ الكلمة لانقطاع الوحي الإلهيّ.

(٢) و (٣) السرح: السهلة السير. المجمّر: الصلابة الشديدة. يصف الشاعر ناقته التي سعت إلى الممدوح بأنها قويّة، سيرها سريع شديد، حملها على ذلك الشاعر بهمّة وعزيمة حتى تنزل في رحاب الممدوح، وقد تخلّت عن دخان الرمث، ذلك النبت الذي كانت ترعاه في موطنها مفضّلاً عليه الممدوح الذي يُشعل العنبر لرائحته، فمنه تغتذي بدلاً من عشب الرمث.

(٤) تكرّمت: تنزّهت، ترفّعت. الأذفر: الطيّب الرائحة. ومن إحسان الممدوح لناقة الشاعر أن الإكرام لها جعلها تبرك على ركباتها فإذا بها تحطّ على أرض غطّيت بالعنبر، تلك الرائحة الطيبة، وهذا يعني أن الممدوح غنيّ مرفّه تكثر في بلاده نباتات فوّاحة بالعطر الندي.

(٥) الأظلّ: باطن خفّ البعير. حذيت: اتخذ منها حذاء. يذكر الشاعر أن رحلة الناقة لم تكن سهلة، فقد دميت خفافها لصعوبة ووعورة الطريق ممّا آلمها، فبدت كأنها انتعلت عقيقاً أحمر.

بَـدَرَتْ إِلَـيْـكَ يَـدَ الـزَّمَـانِ كَـأَنَّـهـا
وَجَـدَتْـهُ مَـشْـغُـولَ الْـيَـدَيْـنِ مُـفَـكِّـرَا[١]
مَـنْ مُـبْـلِـغُ الأعْـرَابِ أَنِّـي بَـعْـدَهَـا
جـالَـسْـتُ رِسـطَـالِـيـسَ والإِسْـكَـنْـدَرَا[٢]
وَمَـلِـلْـتُ نَـحْـرَ عِـشَـارِهَـا فَـأَضَـافَـنِـي
مَـنْ يَـنْـحَـرُ الْـبِـدَرَ الـنُّـضَـارَ لِـمَـنْ قَـرَى[٣]
وَسَـمِـعْـتُ بَـطْـلِـيـمُـوسَ دارِسَ كُـتْـبِـهِ
مُـتَـمَـلِّـكـاً مُـتَـبَـدِّيـاً مُـتَـحَـضِّـرا[٤]

---

(١) بدرت: سبقت. إن تلك الناقة في سباق مع الزمن، ممّا جعلها تُسارع كي لا يفوتها قطار الزمن وتحول دون وجهتها النكبات والمصائب، فإذا بها تمرق مروق السهم منتهزة تلك الفرصة، فالزمن غافل في سعيه بالإساءة إلى الخلق.

(٢) يفخر الشاعر بأنه قد جالس ممدوحه المثقّف ثقافة فلسفية واسعة كفيلسوف اليونان أرسطوطاليس، وهو الملك العظيم الذي اتّسع ملكه كالإسكندر المقدوني الذي اكتسح معظم العالم القديم بجيوشه المنتصرة. نلمس تعريضاً مغلّفاً بالمديح بسيف الدولة الأعرابي الذي لم يبلغ شأو أبي الفضل ابن العميد.

(٣) العشار: النياق الحوامل في الشهر العاشر من حملها. البدر، الواحدة بدرة: كيس نقود يحتوي عشرة آلاف دينار. النضار: الذهب. قرى: استضاف. ومن تعريض الشاعر بسيف الدولة الذي يمثّل مثال الأمير الأعرابي، فالضيافة عنده تتمثّل بنحر النياق وإطعام الطعام، أي بمعنى آخر، أن العرب يُشبعون البطون بينما يرى أن ممدوحه يتخم جيوبه بالبدر المليئة ذهباً؛ وهذا قرًى يدوم أثره بدوام غناه.

(٤) بطليموس: هو أعظم فلكيّي اليونان وهو صاحب المجسطي في علوم الفلك عندهم. يُنوّه الشاعر بعلم ممدوحه؛ إنه متعدّد نواحي الثقافة الرائجة في عصره، وهو مضطلع على العلوم الفلكية، وذلك لارتباطها بأمور الدين لدى المسلمين، كتحديد مواقيت الصلاة ومواسم العبادة كالصيام ومواسم الحجّ. وتلك العلوم حضارية لا تعرفها البداوة.

وَلَـقِـيـتُ كُـلَّ الْـفَـاضِـلِـيـنَ كَـأَنَّـمَـا
رَدَّ ٱلْإِلٰـهُ نُـفُـوسَـهُـمْ والأَعْـصُـرَا[١]
نُـسِـقُـوا لَـنَـا نَـسَـقَ ٱلْـحِـسَـابِ مُـقَـدَّمـاً
وَأَتَـى فَـذَلِـكَ إِذْ أَتَـيْـتَ مُـؤَخَّـرَا[٢]
يـا لَـيْـتَ بَـاكِـيَـةً شَـجَـانِـي دَمْـعُـهَـا
نَـظَـرَتْ إِلَـيْـكَ كَـمَـا نَـظَـرْتُ فَـتَـعْـذِرَا[٣]
وَتَـرَى الْـفَـضِـيـلَـةَ لَا تَـرُدُّ فَـضِـيـلَـةً
أَلـشَّـمْـسَ تُـشْـرِقُ وَالـسَّـحَـابَ كَـنَـهْـوَرَا[٤]
أَنَـا مِـنْ جَـمِـيـعِ الـنَّـاسِ أَطْـيَـبُ مَـنْـزِلاً
وَأَسَـرُّ رَاحِـلَـةً وَأَرْبَـحُ مَـتْـجَـرَا[٥]
زُحَـلٌ عَـلَـى أَنَّ الْـكَـوَاكِـبَ قَـوْمُـهُ
لَـوْ كَـانَ مِـنْـكَ لَـكَـانَ أَكْـرَمَ مَـعْـشَـرَا[٦]

---

(١) و (٢) يمدح الشاعر ممدوحه بعلمه الغزير المتعدّد المناحي، فملاقاة الممدوح كأنها كانت لقاء عظيم الفائدة لمن مضى من كبار علماء العصور الخالية، فكأنما بُعث هؤلاء من ذاكرة التاريخ لدى لقاء الشاعر ممدوحه لتلقيه علومهم، فإذا بهم يبعثون من جديد. ومناحي العلوم لديهم متفرّقة، كلّ حسب ما عُرف عنه، فإذا بتلك العلوم تجمّع بفرد واحد، إنه ممدوح الشاعر.

(٣) و (٤) شجاني: أحزنني. الكنهور: السحاب المتراكم. يتمنّى الشاعر لو أن محبوبته التي تركها قاصداً الممدوح، وقد حزن لفراقها وبكى متأثراً لبكائها ومحاولة منعها إياه من السفر. ترى الممدوح لوجدت له عذراً؛ ذلك أنها عثرت على من تتمثل خير الفضائل فيه، كرماً وعلماً وخلقاً وشجاعة وإنسانية، تلك هي فضائل شمس تمزّق السحب الممطرة فتشع في سماء الوجود ساطعة ملؤها الدفء والحبّ والحنان.

(٥) يفخر الشاعر بما ناله من ممدوحه؛ إنه نزل بكريم سرّه بعطاياه وكانت تجارته أربح تجارة، فقد نال لقاء مدحه مالاً ومنزلة عالية أوصلته إليها ناقته.

(٦) ورد البيت في أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣٩. يمدح الشاعر قوم ممدوحه، فهم بمثابة النجوم، وزحل شيخ النجوم فلو كان قوم الشاعر من قوم زحل لفخر بأكرم أهل وأعظم نسب على سائر نجوم السماء.